# أهداف فلسفة التربية والتعليم والعولمة

**أ.د. رشيد قوقام**

قسم الفلسفة بجامعة الجزائر2

**ملخص**

إن التربية والتعليم والعولمة تلتقي في جملة من الأهداف، هي الأمن والحرية وحقوق الإنسان وتهذيب غرائز الإنسان. ولا يوجد خلاف بين الأمم حول هذه الأهداف قديما أو حديثا. لأن الإنسان يسعى دوما إليها. لذلك يبحث عن أفضل السياسات والوسائل والطرق التربوية التي تحققها. وأن عالم الأفكار هو الذي يجعل الإنسان يعدل ثقافته المادية والروحية، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، من أجل مستقبل تتجسد فيه تلك الأهداف على أرض الواقع. إلا أن تلك الأهداف قد تعترضها مشكلات، كالانحراف بها إلى أغراض أخرى، من طرف المشرفين على شؤون التربية ومؤسساتها، أي من أجل تكوين عقائدي وسياسي مستسلم أو متمرد، بالإضافة إلى نزاعات اجتماعية حول ماذا نعلم وكيف نعلم؟ كذلك إشراف الدولة على مجال التربية، فهو سلاح ذو حدين، قد لا يساعد على تحقيق الأهداف العليا الإنسانية. لأن تأثير العولمة على الدول الضعيفة لا يقلّ خطورة على الأهداف المذكورة سابقا.

**الكلمات الدالة** : الهدف، التربية، العولمة، الدولة، المشكلات.

**Abstract**

Education and globalization converge in a number of goals as security, freedom, human rights and refinement of man's instincts. And there is no disagreement among the nations on these goals because either in the past or in the present times man always seeks them and looks for the best policies and pedagogical methods and means which will achieve them. And by means of the world of ideas he modifies the physical and spiritual culture whenever the need of the embodiment of these goals arises.But some supervisors of the public education and institutions may deviate these goals to other purposes, to an ideological and political formation, submissive or rebellious, as well to social conflicts about what we teach and how do we teach? Moreover the supervision of the state on the field of education is a double edged sword; it does not help to achieve the higher goals of humanity, specially that the impact of globalization on fragile states and on the goals mentioned earlier is so dangerous.

**Key words** : goal, education, globalization, state, problems.

**Résumé**

L'éducation et la mondialisation convergent dans un certain nombre d'objectifs, à savoir la sécurité, la liberté et les droits de l'homme et le raffinement des instincts humains. Il n'ya pas de désaccord entre les nations autour de ces objectifs par le passé ou récemment. Parce que l'homme a toujours cherché. Donc, à la recherche de la meilleure des politiques et les moyens et les méthodes pédagogiques qui permettent d'atteindre. Et le monde des idées est ce qui rend la culture humaine modifie l'environnement physique et spirituel, chaque fois que le besoin s'en fait sentir, pour l'avenir de ces objectifs sont réalisés sur le terrain. Cependant, ces objectifs ont été entravés par des problèmes tels que le renvoi à d'autres fins, par les superviseurs de l'éducation publique et de ses institutions, afin de créer des conflits idéologiques, politiques, a démissionné ou rebelles, ainsi que sociale de ce que nous savons et comment savons-nous ? Ainsi que la surveillance de l'état du champ de l'éducation, c'est une épée à double tranchant, elle ne peut contribuer à atteindre les objectifs supérieurs de l'humanité. Parce que l'impact de la mondialisation sur les États fragiles est pas moins dangereux pour les objectifs mentionnés plus tôt.

**Mots clés** : l'objectif, l'éducation, la mondialisation, l'état, les problèmes.

**مقدمة**

هذا الموضوع يتألف من ثلاثة أطراف عل شكل مثلث، قاعدته التعليم والعولمة، وقمته فلسفة التربية، إن اجتماع هذه الأطراف في مرحلة تاريخية ما يعبر عن حاجة المجتمع البشري إلى المزيد من التطور والتقدم، وإلى الخلاص من الصيغ الجامدة والأزمات الحادة والتناقضات الكبيرة بين النظر والعمل، والفكر والواقع، لأن هذه الأطراف تقوم على أهداف كبرى واحدة، هي الأمن والحرية وحقوق الإنسان، ويمكن إضافة إرادة التغيير بالحوار القَبَلي الوطني، والوطني العالمي، بقيادة خطاب فلسفي، ليس لأنه يبحث عن الحقيقة والحق، بل لأنه تفكير يجمع البشر كافة حول مصيرهم، ويبلّغ أفكاره بالحجج، ولا يسعى إلى إحداث التغيير بطريق مباشر أو عن طريق القوة، بل عن طريق تغيير عالم الأفكار لدى الناس بنشر الوعي والقيم الإنسانية، كما لا يهدف إلى أن يجعل جميع الأفراد أو الأقوام على اتفاق.

كذلك تلتقي التربية والتعليم والعولمة في إرادة التغيير، لأن كل واحد منها يعمل على تعديل الإنسان فكرا وسلوكا، لكن قد تختلف الوسائل والمناهج والطرائق، أما الجانب المادي فيها فلا يشكل عائقا كبيرا، لأن الأشخاص والأقوام يقبَلون وسائل وطرائق بعضهم البعض، لكن المشكلة الحقيقية في الأفكار وما شابهها من قواعد العقائد، التي يكثر فيها النزاع ويُتشبث بها على أساس أنها مقدسة، لذلك اقتنع الفلاسفة بأن أفضل طريق لتبليغ الأفكار أو العلم والمعرفة ما يكون بطريق الحوار ويجري في ظل الحوار والتحاور.

يمكن توضيح الإشكالية هنا لبعض القراء ممن لم يكن ملما بالإشكالية بالمنظور الفلسفي، التي تعني تعارض الأفكار المشار إليه سابقا، وليس مجرد سؤال مباشر، لذلك نقول أن أركان المثلث المذكور تتواصل فيما بينها وتقوم على جملة من الأهداف، إلا أنها تتعارض فيما بينها في الوقت الواحد، لأن فلسفة التربية تتأسس على المثل العليا، والعولمة كذلك، مع ذلك لا تخرج عن الواقع السائد في عصر ما، باعتبار الإنسان يطلق العنان لقدراته الذهنية لتصور المثل الأعلى، الذي يُوخذ كمقياس للأشياء الواقعية (قوقام رشيد، 1997، ص 106–107).

بما أننا لا نعني بأهداف فلسفة التربية الأهداف التربوية الإجرائية التي تخص كل منظومة تربوية، لأن ما يخص منظومة معينة هو الذي يدرس بالمناهج السوسيولوجية أو مناهج علم النفس التخمينية، لذا نذكر بضرورة قراءة الموضوع بالقواعد العقلية المنطقية.

أما العولمة ليست وليدة اليوم، بل هي موجودة عبر التاريخ البشري، بأشكال مختلفة وقدرات معينة، لكنها الآن صارت أكثر شمولية، لأنها تملك قدرات تكنولوجيا فائقة، وخبرة كبيرة في المجالات المختلفة، لذلك تسعى إلى بسط نفوذها في كل كبيرة وصغيرة في حياة المجتمعات الضعيفة، بمعنى تتخل العولمة الآن في السياسة والاقتصاد، الأمر الذي يساعدها على النفاذ إلى بواطن كل المجتمعات بما في ذلك الجانب التربوية وحتى إلى منظومة الأحوال الشخصية. بدعوى أنها تسعى في مجال التربية إلى تنمية وظائف الجسمية والعقلية والخلقية، وهو ما تسميه بتحقيق كمال الإنسان وسعادته.

**1-تحليل ألاهداف**

إن الأهداف المشار إليها، تمثل القاسم المشترك بين الأطراف السابقة الذكر، والملاحظ أن الارتباط بين التربية والتعليم كان متينا منذ أن اهتدى الإنسان إلى اكتساب المهارات والوسائل الاصطناعية والمعارف لتعويض النقص الطبيعي في ذاته، وإحياء الطاقة الروحية، لذلك كانت التربية والتعليم وسيلة لتحقيق تلك الغايات.

الهدف يعني ما يرومه المربي أو المعلم من الأفراد الذين يخضعون للتكوين عنده، بعد إحداث التغيير المناسب والتعديل الكافي، لكن الأهداف لها مستويات، يمكن تقسيمها إلى مستويين رئيسيين : الأهداف العامة والأهداف الخاصة، كما أن الأهداف الخاصة قد تنقسم إلى أهداف معرفية وأهداف إجرائية.

1.1 **ألاهداف العامة** : تعني مجموعة المصادرات أو المسلمات التي يتبناها بلد معين، وهي تعبر عن السياسة العامة للدولة أو الأمة، تستمد من الاختيارات الفلسفية والعقائدية والسياسية، تضعها الهيئات المخولة حسب كل بلد. لذلك يكون النظام التربوي انعكاسا لما هو عليه المجتمع وليس الأمر بالعكس، لأن النظام التربوي مجرد وسيلة لتحقيق أو تنفيذ ما يريده المجتمع، إما بالتجديد والاجتهاد والتقدم وإما بالتخلف والتقليد والتقهقر.

أما الغرض الجوهري للتربية والتعليم فهو المثل العليا التي يجب أن يسعى الإنسان إلى تحقيقها، وهذا لا خلاف فيه بين المربين، لكن الخلاف في رسم هذه المثل، من جهة من المؤهل أو المخوّل أن يقوم بذلك، ومن جهة أخرى من يكون كفوا لتحقيقها على أرض الواقع، لقد اشتد النزاع حول هذا الموضوع، خاصة في العصر الحديث، بحيث أن الناس طبقات وأهل عقائد وأعراف مختلفة، كل يتصور المثل العليا حسب فلسفته في

الحياة، ويعتقد أن تلك المثل هي الحقيقة، لأن كل نظام اجتماعي له فلسفته، وبالتالي نظامه التربوي الذي يجسد به تلك الأهداف ويجعلها أمله في الحياة (جيمس بن دوس، (د.ت)، ص 15).

إن فكرة المثل كانت سائدة عبر التاريخ في مجال التربية والتعليم، ربما قد تطلق عليها تسميات كثيرة، فقد سماها الفارابي الفضائل النظرية، وسماها كانط kant الواجبات، وسماها جون ديوي النمو الطبيعي، وسماها روسو الضرورة. فإن وجهة نظر أصحاب المثل كالفارابي تشدد على أن الفكر هو الذي يستنبط ما هو أنفع، فتحصل غاية ما تكون فاضلة، والفضائل النظرية يوجدها التعليم في الأمم والمدن، وأما التأديب فيوجد الفضائل الخلقية والصناعات العملية (الفارابي أبو نصر، 1983، ص 69– 78)، ثم جعل تلك الفضائل عبارة عن أقصى كمال يتعين على كل شخص أن يبلغه، والمرتبة التي تخصه، كما أن هذه المرتبة تعتبر السعادة القصوى له. (الفارابي أبو نصر، 1983، ص 81).

هذا أما خصوم فكرة المثل، فمنهم جون ديوي الذي يرى أن نظريات الغايات والمثل العليا قد حرّفت طبيعة الغايات، لأن الغاية التي نفكر فيها متميزة، وتستمد أهميتها من الميدان، من حيث هي دليل على العمل المطلوب إنجازه في الحاضر(جون ديوي، 1963، ص 244–245). فهو لا يرفض فكرة المثالي وإنما يرفض ما يرد على الإنسان من خارج إرادته، أما كون المثالي هو هدف أو مشروع أو شيء مرغوب فيه، فإنه مقبول من حيث كونه يمد الإنسان بما ليس لديه في حاضره، لكنه ليس مثلا أعلى، ولا يمكن أن يكون مُلهما، بل المثالي ما يجعل الشيء الضروري بعيدا، ويبدو لنا ساميا وهدفا للكمال النهائي الذي يتحدد بالتناقض التام مع الواقع أو الموجود بالفعل ويحصل ذلك بعدم الرضا بالحاضر والإثارة من أجل تغييره، هكذا يصل ديوي إلى تعريف المثل الأعلى، بأنه عبارة عن عدم الرضا بما هو موجود على أرض الواقع(جون ديوي، 1963، ص 274–275). لهذا يرفض أن يكون المثل الأعلى هدفا نعمل على تحقيقه، بل هو مغزى نشعر به ونقدره(جون ديوي، 1963، ص 277–278). لأننا لا نستطيع أن نكوّن أفكارا خارج إرادتنا ورغباتنا، ونصبح متسلطين على المستقبل بحرمانه من التغير والتطور، لأن المثل العليا التي نفكر فيها، لا وجود لها إلا في الأذهان، وهي تتصور إما بخيالات وأوهام وإما باستقراء ناقص ليس لها الصفة الكلية، لأن من طبيعة الإنسان التعلق بالأمور الجزئية، ووضع الأشياء في الزمان والمكان وفي سائر المقولات الأخرى، وبالتالي يصعب عليه إدراك حقيقة المثل الأعلى.

2.1 **ألاهداف الخاصة** : تعني جملة السلوكات والمعارف المرجوة من العملية التعليمية، وتستمد هذه الأهداف من الأهداف العامة، ومن نوع التربية المراد تكوينها أو غرسها في المتعلمين، مثال ذلك الهدف من التربية الاجتماعية هو دمج الفرد في الجماعة، والهدف من التربية الفردية هو تنمية القدرات الذاتية من أجل مواجهة صعوبات الحياة. عندئذ تكون الغاية من التربية تحقيق مصالح الفرد والجماعة، والجماعة قد تكون أسرة أو قبيلة أو شعبا أو حزبا أو طبقة. وكل هذه الجماعات ترغب أن تجعل أفرادها يتعاونون في سبيل المحافظة على كيانها الاجتماعي.

لذلك تلجأ هذه الجماعات إلى وسيلة التربية لتكوين أفرادها على سلوكات خاصة ومعارف خاصة، لقد اعتبر علماء الاجتماع أن التعاون قوام المجتمع، فيجب تربية الصغار على التعاون وروح الاجتماع، لأن الترابط الاجتماعي والتوافق بين المصالح لا يحصل إلا باتحاد أفراد الجماعة عاطفيا وعقائديا، كما يقول ليفي بريل lévy-bruhl (ليفي بريل، (د.ت)، ص 266–267). لهذا تسعى المؤسسات التربوية إلى تنمية قدرات الفرد ومساعدته على الدمج الاجتماعي، لكي يتمكن من أن يصبح عضوا صالحا لجماعته، وقادرا على أداء المهام المنوطة به، ويجب أن يتصف بجميع ما يميز تلك الجماعة عن غيرها.

ولا شك أن أهداف التعليم كثيرة بحسب ميادينه، وأبعاد الشخصية، منها النمو الجسدي، بواسطة التربية الصحية والحسية الحركية. ومنها الدمج الاجتماعي وتنمية الشخصية، ومنها التربية العقلية واكتساب المعارف، وعليه يجب أن تراعى ثلاثة أبعاد في الأهداف الخاصة، الثقافة العامة، والثقافة السلوكية، واكتساب المعارف في علم من العلوم.

**2– مشكلات في طريق ألاهداف**

قد تنشأ مشكلات كثيرة حول الأهداف، منها الانحراف بها إلى أهداف أخرى غير معلنة مثل استعمال التربية والتعليم من أجل السيطرة والاستبداد سواء لصالح سلطة سياسية أو غير سياسية، لذلك تسعى تلك السلطات إلى الاستيلاء على مؤسسات التربية والتعليم وملكيتها، من أجل تحقيق أهدافها المستترة خلف الأهداف العامة أو الكبرى، التي هي شريفة وعظيمة، لأن هذه المؤسسات لا يمكن أن تكون على الحياد، بحيث تكون خاضعة دائما لمن أنشأها ويصرف عليها، وهو الذي يوجه المتعلمين إلى تحصيل عقائد معينة وسياسة معينة وآراء وأفكار تجعل منهم مواطنين مستسلمين أو متمردين، بدل تعليمهم على أن يكونوا أفرادا صالحين وأحرارا يتحملون المسؤولية، ويتفتحون على الآخرين.

لقد ذهب جون ديوي إلى حدّ القول أن التعليم الابتدائي في أوربا كان يرمي إلى محو الأمية، بحيث أصبح هذا النوع من التعليم سلاحا في أيدي الحكومات الطاغية من أجل زيادة القوة الحزبية، فضرب مثلا بالتعليم الألماني الذي حقق نجاحًا باهرا، لكنه رجع بالويل على البلد وعلى العالم (جون ديوي، 1955، ص 58).

كذلك هدف الدمج الاجتماعي، هل هو هدف حقيقي أم مزيّف؟ لا يَنكُرُ الضرورة الاجتماعية إلا مكابر، لكن المشكلة تتعلق بصحة الوسط الاجتماعي الذي تكون الدعوة إليه، والملاحظ في الأديان والفلسفات الكبرى أنها تدعو دائما إلى إصلاح الأوساط الاجتماعية لفسادها أو انحرافها، وأن المربين سواء كانوا أنبياء أو مصلحين يربون على غير الثقافة السائدة في المجتمع، بمعنى تختلف تربية وتعليم هؤلاء عن تربية وتعليم المعلمين الذين يربون ويعلمون على هدف الدمج الاجتماعي كقوله تعالي : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون" (سورة الأعراف، الآية 28) وقوله تعالى : « قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياءُ في الأرض وما نحن لكما بمومنين" (سورة يونس، الآية 78). –الخطاب موجه إلى موسى وهارون– وهناك آيات كثيرة في هذا السياق، تعالج آثار التربية والتعليم عن طريق هدف الدمج الاجتماعي.

كما أن فلاسفة التربية في العصر الحديث يشككون في صحة هذا الهدف، فقاموا بنقد شديد للحياة الاجتماعية السائدة في عصورهم، منهم روسو Rousseau الذي يدعو إلى التلقائية في التربية والاستقلال في التعليم، وأما سبنسر Spencer فيعتبر أن مهمة التربية إعداد الفرد للحياة الكاملة، بالاعتماد على النفس والحرية، وأما جون ديو J.Dewey فيدعو إلى ديمقراطية التعليم، وأن التربية نمو طبيعي، بخلاف النظريات القديمة التي تعتقد أن التربية تعديل في طبيعة الإنسان، فالنزاع بعد ذلك يتعلق أيضا بماذا نعلم وكيف نعلم ؟ أي أن التعليم التقليدي يعلم المعرفة بالتلقين والتقليد، أي التي يكون عليها الراشدون، بينما التعليم الحديث يسعى إلى اشتراك المتعلم في عملية التعليم ومنحه الحرية في الحركة واختيار الآراء والأفكار التي يراها هو صالحة له ولعصره، بمعنى يجب تعليمه ما يستطيع تعلمه. وإذا كانت الأفراد تجد الأمن والحماية في ظل الحياة الاجتماعية، فإن تسيير الاجتماع البشري يحتاج إلى نظم وقوانين، التي تحدد الحقوق والواجب، ومن ثمة مجال الحرية، الذي بدونه لا معنى للحياة الاجتماعية، كما أن تربية الصغار لا يجب أن تكون

على اهتمامات الكبار وخبراتهم (جون ديوي، 1955، ص 244). وأما مطلب الحرية فينظر إليه جون ديوي من جهة المتعلم، ويدعو إلى تركه على التلقائية لأن حيويته تساعده على التحصيل فيما يرغب فيه (جون ديوي، (د.ت)، ص 185). فالتعليم الجيد ما يُودي إلى تكوين سلوك منطقي ومنظم وثقافة متفتحة وفكر حرّ. هكذا تكون المشكلات في التربية والتعليم تتعلق بالمواطن أو الفرد الصالح، وقضايا الدين والمستقبل المهني.

**3-أهداف العولمة**

إن العولمة ولدت بعد اضمحلال الحرب الباردة وظهور سيادة القطب الواحد على الساحة العالمية في ميادين مختلفة، منها السياسة والاقتصاد والثقافة، ومفهومها لم يتحدد بعد بشكل واضح ودقيق، لأن رجال الفكر والثقافة أخذوا هذا الإصلاح بمعناه المبتذل عند السياسيين المروجين له، ويقومون بالدعوة لها، فصار هؤلاء المفكرون دعاة بدل أن يكونوا مفكرين بصيرين بعواقب الأمور.

يمكن الإشارة إلى بعض المفاهيم قبل النظر في الأهداف، لأن الأهداف تتصور طبقا للمبادئ والمفاهيم، منها أن العولمة نظام عالمي جديد، تضمحل فيه جميع القوميات والوطنيات التي كانت تؤطر المجتمعات البشرية، ومنها أنها تعني الأمركة، أي سيطرة الولايات المتحدة على دول العالم وشعوبها، ومنها أنها نظام سياسي اقتصادي قائم على ضرورة انفتاح دول العالم على الإرادة السياسية والإنتاج الاقتصادي للدول الكبرى.

وهذه المفاهيم المذكورة وغيرها تشترك في كون الدول الكبرى التي تتمتع بنمو كبير تسعى بهذه العولمة إلى غرس اعتقاد جازم في باقي بلدان العالم أن مستقبلهم يتعلق بمدى محاكاتهم وامتثالهم لإرادة الأقوى (جون ديوي، (د.ت)، ص 185). لذلك يحاول دعاة العولمة إلى تقديمها في صورة مثالية على أنها فردوس المستقبل للبشرية، كأن أهدافها لا مثيل لها في التاريخ.

وأهم أهدافها التطلع إلى بناء مجتمع بشري جديد، عن طريق انضمام الدول ومجتمعاتها إليها، لأن الأمن والحماية والحرية تتحقق لما تنخرط في المجتمع الدولي، عندئذ فقط يمكنها القيام بتسيير شؤونها بطريقة حسنة، وأن تجعل أفرادها يتمتعون بالحرية، ويتفتحون على الآخرين، من أجل تنمية روح التعاون على نطاق واسع، وقد تلتقي هنا العولمة مع التربية والتعليم، في هدف تنمية القيم الإنسانية، وتنمية القدرات الفكرية والعقلية لدى الأفراد،

بمعنى تكون تنمية شخصية الفرد والجماعة ضرورية لأن اكتساب القدرات المؤهلة تكون على أساس الانفتاح والاحتكاك بالآخرين.

وأما التنمية الاجتماعية والاقتصادية فهي هدف من أهداف العصر، وهذا الهدف مطلب تربوي وعولمي، لكن ليس شرطا أن يحصل التجانس بينه وبين الهدف السابق المتعلق بالتنمية الفكرية، لأن التنمية الاقتصادية لا تتناسب مع التنمية الفكرية، لكن التنمية الفكرية تتوقف على التنمية الاجتماعية والاقتصادية. حسب ابن خلدون، فالتعليم صناعة تنهض وتزدهر في الأمصار–المدن– مثلها مثل الصنائع الأخرى التي تنتج الحضارة، ويرجع السبب في ذلك، إلى كون جودة الصنائع كالتعليم تعتبر من الأمور الزائدة عن المعاش، بمعنى كلما بقيت ثروة زائدة انصرفت إلى ما هو وراء المعاش، الذي هو العلم والصنائع، فالعلم لا ينمو ويزدهر إلا بكثرة الجراية أي الصرف(ابن خلدون، (د.ت)، ص 344).

وأهل العولمة يريدون من البشرية أن تؤمن بالديمقراطية، وتعمل على تطبيقها وأن تثق بأصحابها كما يثق المتعلمون من المعلمين، لأن الهدف الرئيسي هو صناعة جميع أفراد البشر على نمط واحد، وذلك لا يتحقق إلا بالتكوين الموحد، بحيث يكون التعليم ومؤسساته يؤدي وظيفة اجتماعية، ومن هذه الجهة يستحسن أن يكون بيد الدولة، في رسم الأهداف والتسيير، لأن الدولة هي صاحبة الحق في التصرف في شؤون المؤسسات الاجتماعية، فتسعى إلى توفير التكوين الموحد للمواطنين، وتقدر احتياج المجتمع للوظائف المختلفة، وأما بخلاف ذلك، فإن التعليم إذا ترك لأهواء الناس، فلا تستقيم الحياة الاجتماعية، أي ينقسم الناس إلى جماعات صغيرة متناحرة، فيؤدي ذلك إلى تفكك المجتمعات الواسعة.

**4– مشكلات في طريق العولمة**

إذا كانت العولمة ترى أن أهداف الدول القومية أو الوطنية أو المحلية غير جديرة بالوصول إلى تحقيق الديمقراطية وحقوق الإنسان، فلابد من التخلي عن سيطرة تلك الدول على التربية والتعليم، وأن تمنح الأقليات الحرية والاستقلال بشؤونها، لكن الغرض من هذا، ليس حبا للأقليات، وإنما تريد العولمة إضعاف الدول الوطنية من أجل تسهيل السيطرة عليها وجعلها رهينة لا تقدر على شيء، إلا ممارسة القهر على من يتجرأ على مصالح العولمة.

هكذا تنتقل إرادة قهر الإنسان من الدولة الوطنية إلى دولة العولمة، التي اتخذت من السياسة والاقتصاد الوسيلة الناجعة لترويض المجتمعات البشرية على أهدافها، وذلك بتدخلها في شؤون الدول والحكومات وتوجيهها في سياسة التكوين، سواء من ناحية الأهداف أو البرامج أو من ناحية النفقات على التربية والتعليم، وتستعمل العولمة شعار الديمقراطية وحقوق الإنسان ومراقبة الاقتصاد وترشيد النفقات من أجل أن تربي لها تلك الدول أفرادها على أهدافها.

لقد اختلف المربون والمفكرون والفلاسفة حول من له الحق في رسم الأهداف للتربية والتعليم، أهي الدولة أم غيرها من القوى الاجتماعية ؟ لكن في عهد العولمة ما يزال النقاش محدودا في هذا الموضوع، لأن مجالات السياسة العامة استحوذ على جل اهتمام المفكرين، ولأن تدخل العولمة في مجال التربية والتعليم لم يكن مباشرا، الأمر الذي جعل المفكرين غير آخذين في الحسبان درجة الخطورة التي تشكلها العولمة مستقبلا على البشرية.

هذا يعني أن مقاومة ضغوط العولمة، هل يكون بالإبقاء على المدرسة في يد الدولة أم بالمدارس الحرة ؟ ففي جميع الأحوال، إن العولمة تمثل خطرا دون شك على أشياء كثيرة، كالحرية والديمقراطية نفسها، ناهيك عن الهوية ومصير الشعوب والأمم. إذا كان التعليم في يد الدولة، فالدولة عرضة للضغوط السياسية أكثر من المجتمع الواسع، لكن لو نجعل التعليم حرا طليقا، فإن الخطر لا يكون فحسب من جهة العولمة التي قد تستغل ذلك، بل تظهر أمراض اجتماعية يصعب علاجها والمحافظة على الكيان الاجتماعي الواسع، بحيث قد تستهوي الفئات الاجتماعية أهواء لا تخدم الحياة الاجتماعية، فتعمل على مسخ المجتمع وهويته.

ربما عندما يكون التعليم في يد الدولة، تكون الحياة الاجتماعية في مأمن من النزعات المتعصبة التي قد تثير الفتن، كما يمكن أن تضغط هي بدورها على طرف العولمة كلما تغيرت السياسات وتضاربت المصالح في الساحة الدولية، بمعنى قهر الدولة يمكن إصلاحه أو مقاومته، لكن انحراف المجتمع يصعب علاجه وتقويمه، خاصة في مجال التربية والتعليم.

أنصار العولمة يعتقدون أن الديمقراطية السياسية حق أخلاقي، يجب أن يطيعها الجميع، لأنها تعبر عن إرادة الإنسان ورغبته في التطور، لكن العولمة لا تخلق التطور، بل تساعده على الظهور، الأمر الذي لم ينتبه إليه دعاة العولمة، وهم يزعمون أن تحصيل قيم العولمة

بطريقة التلقين والدمج أجدر، أي دون اختيار ومحبة أو اقتناع. لذلك ستلقى معارضة شديدة مستقبلا بسبب هذا النهج غير الأخلاقي والتربوي، لأننا نَعلَم بالخبرات السابقة، أن التعليم قديما يقوم على الترويض والتلقين فقط، مما جعل المربين والفلاسفة يرفضون هذا الأسلوب، لأنه لا يعلم الإنسان كيف يفكر بنفسه ويعمل بإرادته. لذلك لن يكتب النجاح للعولمة طالما اعتمدت على طريق تقليدي لا يجدي نفعا.

**5– تجربة الفكر التربوي عبر التاريخ**

تفيد أن النجاح في حقل التربية والتعليم يكون بالمناهج التي تشتمل على تكوين جميع جوانب شخصية الإنسان دون إفراط أو تفريط، وبالطرائق القائمة على الحوار والتحاور، لأن تبليغ العلم والمعرفة بها يترسخ في المتعلمين أكثر مما يتعلم بغيرها كالتلقين والترويض.

لما كان الإنسان كائنا ضعيفا بطبيعته، فلذلك يحتاج إلى تكوين وتنمية قدراته، حتى يتمكن من تأمين معاشه وأمنه، لهذا اهتمت المجتمعات البشرية كافة بالتربية والتعليم، بكونها الطريق المناسب للقيام بتلك المهمة، وقد سلكه الأنبياء والفلاسفة والمصلحون الاجتماعيون من أجل تقويم الأقوام وليس الأفراد كأفراد، لأن التطور يظهر في النوع وليس في الأفراد كما يقول كانط kant باعتبار الفرد ميدان لحرية الإرادة، بينما النوع ميدان لقوانين الطبيعة، ونعني بالجانب الطبيعي في الإنسان المبادئ العقلية الشاملة، لا الميول والغرائز الحيوانية.

هذا يعني أن تكوين المجتمع وإصلاحه لا يكون إلا بطريق التربية والتعليم، لكن هذا الطريق يحتاج إلى سلطة روحية تكون مصدرا له، والتي تكوّن الدافعية للتعلم. لأن التربية تحتاج إلى شيئين أساسين، وهما التنظيم والسلطة الروحية التي تساعد العمل التربوي على تعديل سلوك الإنسان سواء الغريزي أو المكتسب السيئ. والتربية إما تؤدي إلى تجاوز شيء ما في الإنسان، وإما إلى إحداث تكامل بين أشياء كثيرة تتنازع فيه.

ويتفق جميع الفلاسفة على أن الإنسانية تتحقق بالتربية والتعليم وفي إطار اجتماعي منظم، يكون منصبّا على جوانب كثيرة، منها:

– العناية بالأفراد لا كأفراد منفصلين عن بعضهم البعض، بل كعناصر أو وحدات تشكل المجتمع.
– العناية بالثقافة الاجتماعية، وتهذيبها وتوجيهها، لأنها تساعد في تكوين وتعليم النشء.

– العناية بمقومات المجتمع، ومكوّناته الروحية والتاريخية والإنسانية. لأنها تتدخل في تكوين الأفراد.
– العناية بمقومات العصر واتجاهاته، لأن الأفراد يتأثرون بها من هذا الطريق أو ذاك.
ومهما اختلفت أهداف وطرائق التربية والتعليم عبر التاريخ، فإن تكوين الإنسان يكون من أجل هدفين :

**الأول** : ما يتعلق بحياته في الدنيا، وتتضمن الأمن والمعاش بالتعاون مع الآخرين، وتنمية وتعزيز وتنظيم الوظيفة الاجتماعية، بترقية التعليم الذي يكوّن الرقي الاجتماعي بدوره، كما يقول ابن خلدون وفلاسفة التربية في العصر الحديث، لأن التعليم صناعة اجتماعية مدنية، تزدهر في المراكز الحضرية، بحيث تنشأ علاقة تبادل بينه وبين العمران والتقدم (عبد الله الأمين النعيمي، (1980)، ص 60).

**الثاني** : ما يتعلق بالهدف من وجوده ومصيره، وهو النزوع إلى الرقي بنفسه نحو الكمال، بمعرفة الله تعالى(الأونسكو، (د.ت)، ص 39).

إذا كانت التربية والتعليم في البلدان المتقدمة ليست ذات بال، لأنها مسألة مفروغ منها، فإن الاهتمام بها في البلدان المتخلفة كبير جدا، لكن النتائج ضعيفة جدا من جميع النواحي(جماعة، 1984، ص 5)، ويرجع السبب في ذلك إلى الرغبة الملحة في استغلالها لأغراض آنية وأنانية، والابتعاد عن الأهداف الحقيقية، وحصر البعد التعليمي في نشاط واحد ومهمة واحدة، ربما كان هذا صالحًا في الماضي البعيد، أما في العصر الحالي فإن أهداف التعليم يجب أن تسعى إلى تكوين المتعلمين على أبعاد كثيرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فلا ينبغي أن نعلم المعلومات في حدّ ذاتها، بل نعلم المتعلمين أن يفكروا ويدركوا الأشياء بذواتهم. وهذا هو المراد بديمقراطية التعليم عند جون ديوي، عكس التعليم التقليدي يعلم ما يعرفه الراشدون(جماعة، 1984، ص 5).

لا يكفي أن نرسم أهدافا مثالية ونبحث عن حلول لمشكلات التربية والتعليم المتعلقة بالطرائق والمناهج، وننسى لمن يجب أن يسند التعليم، لأن ابن خلدون يرى أن النجاح في التعليم يكون بإسناده إلى مشاهير المعلمين(ابن خلدون، (د.ت). ص 341) إذن العبرة بالمعلم، باعتبار التعليم يقوم على طرائق كثيرة في الوقت الواحد، كما يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالرأي منك وينفع التعليم

ويقال أيضا : من وعظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه. وأما من وعظ واتعظ فمحله عند الله تعالى عظيم (الرازي فخر الدين، (د.ت)، ص 48). وقس على ذلك المتعلمين في وظائفهم لما يشتغلون في المستقبل، بحيث تظهر عليهم آثار ما تعلموه، وكذلك العولمة عند دعاتها. والإنسان يتعلم كي يعلّم، ويعلّم لكي يتعلم.

## المراجع

1–القرآن الكريم.

2–ابن خلدون، (د.ت). المقدمة، دار العودة. بيروت.

3–الأونسكو، (د.ت). الثقافة إلانسانية وفلسفة التربية. ترجمة : انطوان خوري، دار النشر للجامعيين، بيروت.

4–جماعة، 1984. التطور التربوي في العصر الحديث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

5–جون ديوي، 1955. الحرية والثقافة. ترجمة: أمين مرسي قنديل. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

6–جون ديوي، 1963. الطبيعة البشرية والسلوك إلانساني، ترجمة: محمد ابيب النجيحي. مؤسسة الخانجي. القاهرة.

7–جون ديوي، إيفلين ديوي، (د.ت). مدارس المستقبل، ترجمة: عبد الفتاح المنياوي، مكتبة النهضة المصرية.

8–جيمس بن دوس، (د.ت). الأسس العامة لنظريات التربية، ترجمة: صالح عبد العزيز ومحمد السيد غلاب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

9–الرازي فخر الدين، (د.ت). التفسير الكبير، مج2، ج3، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

10– روجيه غارودي. السنة 1983. التربية وأزمة القيم، المجلة العربية للتربية. العدد2.

11– عبد الله الأمين النعيمي. 1980. المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

12– الفارابي أبو نصر، 1983. تحصيل السعادة، ط2، دار الأندلس، بيروت.

13–قوقام رشيد، 1997. مثل عليا للتربية، مجلة دراسات فلسفية، العدد 4، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر2، الجزائر.

14– ليفي، بريل، (د.ت). فلسفة أوجست كونت، ترجمة: محمود قاسم، السيد محمد بدوي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.